بعيدَ المعَركة

عندما انتهت المعركة كانت أم عمارة بين الجرحى من المسلمين بعد أن سقت العطشى، وداوت الجرحى، وشجعت المقاتلين، وأمدت بالمؤونة، وباشرت القتال حتى استحقت شهادة رسول الله ﷺ وثناءه حين قال لابنها: «مقام أمك خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل بيت».

ودعا لها ولأسرتها «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة».

فهل قعدت أم عمارة بعدها، وتوقفت عن متابعة الطريق؟

وهل جلست تنتظر الوفود التي تهنئها، والثناء الذي يحفّ بها؟

لن يتفق ذلك مع فهمها للإسلام، لهذا نسمعها تقول كلمتها الخالدة بعد دعاء الرسول لها ولأسرتها: «ما أبالي ما أصابني من الدنيا».

وهذا عهد على متابعة الطريق، وتأكيد على استمرار جهادها في سبيل الله. وذلك هو الربح العظيم والفوز الكبير، وهي النعمة التي يسعى لها المسلم. كانت تشعر بالرضى والسعادة والطمأنينة التي لا يصل إليها إلا من ارتفع إلى هذا المستوى من الإيمان.

وانقضى نهار الجهاد الدامي، وأتى الليل البارد، فقام المسلمون يضمدون جراحهم، ويبحثون عن قتلاهم، فإذا بنسيبة وقد أصيبت بثلاثة عشر جرحاً ما بين ضربة سيف أو طعنة رمح. وكان أعظم جراحها ذلك الجرح الغائر في كتفها الذي أصابها به ابن قمئه.

فقامت تداوي جراحها، وأبى الدم النازف أن ينقطع من ذلك الجرح.

وفي اليوم الثاني بعد عودتهم إلى المدينة نادى منادي رسول الله ﷺ يدعو أهل أحد لمطاردة المشركين إلى حمراء الأسد، وشدت أم عمارة عليها ثيابها لتذهب مع الجيش، ولكن الجراح النازفة منعتها من ذلك، وبقيت تداوي جراحها هذه سنة كاملة، وبقي أثر الجرح في كتفها ظاهراً. وافتقدها رسول الله ﷺ في حمراء الأسد، فلم يكد يعود إلى المدينة ويصل إلى بيته حتى أرسل إليها أخاها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها،

فرجع إليه يخبره بسلامتها، فسر النبي ﷺ بذلك.

وكان رسول الله ﷺ إذا حدث عن يوم أحد وذكر أم عمارة يقول: «ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا رأيتها تقاتل دوني».

ذلك وسام المرأة المسلمة، جراح في المعركة، ووفاء بالعهد.

وشهادة من القائد النبي المرسل من الله العزيز الحكيم إلى الخلق أجمعين.

ذلك وسامها أن تضمد جرحها الغائر سنة كاملة وهي تربي - في ذلك الحين - أبناءها وأحفادها والشباب والبنات على حب الله ورسوله، وطاعة الله ورسوله. وكم هي عظيمة تلك الدروس التي تخطها المربية العظيمة بالدماء، وتعطي أمثلتها من الجروح والضحايا.

هذه المرأة الجريحة تستطيع أن تربي أبطالاً يعرفون معنى الجهاد والوفاء.

وتستطيع أن تربي أمهات يدركن أهمية البيت والإعداد.

وتستطيع أن تخاطب جيلاً يتأهب لحمل الدعوة،

وفتح البلدان، وهدم الطاغوت، وإقامة شرع الله عز وجل.

إن نسيبة الجريحة تُعلّم بجراحها هذه الأبناء من المسلمين معنى نطقهم بالشهادتين، وهم يرون الدماء النازفة والجراح الراعفة أمامهم فلا تتحول الشهادة إلى دمدمة وكفى، بل تتحول إلى عمل وجهاد وسلوك مستقيم.

وإن نسيبة الأم المجاهدة تعلم بجهادها هذا الأبناء كيف يخلص المسلم العهد مع ربه، وكيف ينهض بالمسؤولية إذا جد الجد، وحانت ساعة الجهاد.

وإن أم عمارة بسيرتها في هذه المعركة تضع المعالم مع أخواتها لنساء الإسلام جميعاً اللواتي يردن طريق الجنة، ويؤثرن مرضاة الله عز وجل فيدفعن الزوج والولد، ويدفعن الدم والروح فداء للإسلام ولدعوة الإسلام.

سنة كاملة وهي تداوي الجراح، يا لها من عظيمة!! أنها المرأة المسلمة المجاهدة، فلتنظر نساء الإسلام هذه الصور بالعيون والأفكار والقلوب، ولتنظر من خلالها إلى روضات الجنة ولتعرف أنها الطريق إلى الله.